إن وسائل الإعلام تلعب دوراً بارزاً في تكريد وانضاج الذوق الفني لدى جماهير الشعب وخاصة البسطاء والأميين، وأن هذه الوسائل تؤثر إلى حد كبير على العلاقة بين المجتمع واللغة الأم، وأن الإعلام مسؤول عن مدى احترام الأمة للغتها الأم. لكن شعباً كل طموحه هو أن تصبح لغته ذات يوم لغة دولة وحكومة، شعباً لم يَرَ ذات يوم راية ترمز إلى وطنه، شعباً يطلق في إعلامه عشرات المرات يومياً تسمية (أقليم كردستان العراق) على وطنه المحمي والمحرر جزئيا بمناسبة وغير مناسبة..... كيف سينظر هذا الشعب إلى خصوصياته؟ عجباً يا لغباء (الباسك) الذين لا يسمون وطنهم (أقليم باسك أسبانيا). ويا لبلاهة ألبان كوسوفو وحمقهم لم لا يحذون حذوهم ويدعون وطنهم(أقليم كوسوفو يوغسلافية)، والأسكو تلنديون ما أغباهم لم لا يدعون وطنهم (أقليم اسكوتلندة بريطانية العظمى)؟،والابخازيون كم هم بلهاء وعيدون لم لا يدعون وطنهم(أقليم ابخازيا جورجيا)؟

أستطيع أ ن أعد العشرات من الشعوب الأخرى ((الغبية، الحمقاء، البلهاء)) التي لا تتعلم السياسة والحكمة منا. لا اعتقد أن هناك كردياً واحداً لا يسعد بمشاهدة الفضائيات الكردية. والحق يقال أن هذه الفضائيات قدمت خدمات جليلة للأكراد وعمرت بيوتهم. فهي جميلة وتسير باتجاه التطور ومن هنا فإن كل نقد يوجه إليها فهو بقصد تطويرها ليس إلا.

أحياناً أتابع البرامج العربية في هذه الاقنية،فأتذكر على الرغم مني قصة ذاك الشرطي: يحكى أنه كان هناك شرطي لم يحصل على إجازة خلال فترة طويلة من خدمته وقد حدث أن منح إجازة في سن متاخرة، فما كان منه إلا أن يأتي كل يوم مع طلوع الفجر ويتسمر أمام باب المخفر.

لست أدري لماذا أشبه حالتنا بقصة ذاك الشرطي أحياناً؟ الآن وقد حصلنا على إجازة من خدمتنا، فلماذا علينا أن نذهب طوعاً إلى باب المخفر؟ قد يكون من المفيد إذاعة أخبار بلغة أجنبية في بداية البرامج أو في البرامج أو في نهايتها، أقول الأخبار فقط وليست البرامج الفنية.

ترى هل يمكن أن يهدي الله المشاهد العربي، وهو الذي يملك عشرات الأقنية الفضائية والأرضية ، ليستمع في ساعة متأخرة من الليل إلى أغنية عراقية تبث من فضائية كردية؟أو أن يشاهد برنامجاً خاصاً حول

العلاقات التركية مع الدول العربية؟(7) أو برنامجاً خاصاً حول مشاكل بحر قزوين؟(8)

وكم قصة كردية على المشاهد العربي أن يقرأها حتى يستمع، من بين كل القنوات الفضائية العربية إلى حوار بين كرديين باللغة العربية حول مشكلات القصة الكردية؟(9) لا شك أنه ما من أحد يستطيع من حيث المبدأ أن يعترض على بث البرامج الفنية أيضاً بلغات الشعوب المجاورة ولكن شريطة أن يكون لدينا عشرات الأقنية التي تبث برامجها ليل نهار.

غير أن ما يجري الآن ليس إلا تعبيراً عن عقدة نقص فينا وهدراً لقسم من ساعات البث القليلة المتاحة لنا التي لا تكاد تفي بالحفاظ على لغة الآباء والأجداد. والواقع أنه يمكن أن نتلمس بوضوح نتائج التعريب الطويل الأمد في جنوب كردستان من خلال اللغة الغريبة العجيبة التي يتكلمها الناس عامة، وبعض المثقفين التي يصعب فهمها أحياناً على من لا يجيد اللغة العربية إجادة تامة. إن قناة تلفزيونية يشاهدها الملايين ينبغي أن تتعامل بحذر كبير مع مسألة اللغة.فلغة وسائل الإعلام ينبغي أن تختلف عن اللغة المستخدمة في المقاهي والمطاعم، وعلى العاملين في وسائل الإعلام ولا سيما التلفزيون أن يحافظوا على معايير اللغة النموذجية(10). إن وجود الخبرة والاختصاص لدى شخص ما في مجال الفن أو العلم لا يكفيان لإجراء مقابلة تلفزيونية معه. إذ يجب عليه على الأقل أن يكون ملماً إلى حد ما باللغة شبه الموحدة المستخدمة في الكتابة حالياً.أنا شخصياً لست من أنصار اللغة النقية، ولا أعتقد أن ثمة لغة نقية في العالم. وكما يقول المثل الكردي: (بالملح يستطاب الطعام ولكن ضمن الأصول). أقول وأنا على قناعة تامة أن اللغة الكردية هي إحدى أغنى لغات العالم في التعبير عن الحاجات والمتطلبات اليومية. وأن كل كلمة دخيلة على لغتنا، ألبسها آباؤنا وأجدادنا لباساً كردياً كاملاً وزينوها بزينة كردية حتى بدت غريبة على أصحابها، وإن آباءنا وأجدادنا لم يستخدموا كلمة أجنبية وفق قواعد وصوتيات لغتها الأصلية وإنما صاغوها في قالب محلي خاص. أما الآن فالأمر مختلف تماماً إذ تستخدم الكلمة الأجنبية كما هي في لغتها.

لا ادري لماذا يتم اختيار فتاة لا تجيد التحدث بعبارتين سليمتين، من أجل برنامج تلفزيوني في جامعة لها مكانتها المرموقة؟ وليس ذلك من أجل موضوع علمي أو فلسفي وإنما من أجل موضوع بسيط كـ (الصداقة

) أما كان يجب اختيار مستواها اللغوي قبل إجراء اللقاء معها؟ أيعقل ألا يكون في اللغة الكردية بديل لكلمة(صديق) العربية؟ ألم يكن بإمكانها أن تقول:(هفال، يار، هاورى، دوست، برادر، أشنا، هاوده م، ..إلخ) أم أنها ما كان ليطمئن قلبها لو لم تقلها بالعربية؟

ألم يكن في اللغة الكردية بديل لكلمة (زواج) العربية؟ بأي حق تقحم كل هذه الكلمات والتعابير العربية في بضع جمل (نه كه ر صه داقه نه حه يات نابت)، (نه مه ره نيي منه)، (صه داقه ت نه عه ز شته)، (عادات وته قاليد)، (نيحتيفاز، ره وابط، نه فكار، زه واج، نينسان، زروف، ته حه كوم، ته نسيراتي سه لبي،....إلخ)11

أما المثقفون فليس لغتهم أفضل بكثير، ففي مساء يوم 2000/5/29م أجرت قناة كردستان TV الغراء لقاءً مع أحد الأخوة الكتاب حول انسحاب إسرائيل من لبنان. وأعتقد أ ن من لا يجيد اللغة العربية لا يستطيع فهم ما قاله: (حق، انسحاب، احتلال، محتل، مؤهل، قناعت، قوات، قوة، مقاومة، هجوم، قوانيني دولي، عجبا، جندي، استعمار، جنوب، قضية، مزاحم، اهتماماتي دولي، موزعه، خلافات، حركاتي كردي، مزية، ثقلي اهتماماتي دولي، حالاتي احتلال، حل بطريقه يك، عاملي خارجي، كتلة، استفاده، حلي نهائي، أساسي حق تقرير المصير، وضعي مهيأ، حمايتي كردستان، مركزي قرار،...إلخ).

فإذا كانت هذه لغة كاتب ظهر على شاشة التلفزيون وليس في أحد المقاهي، فكيف تكون لغة الناس العاديين؟أولا يحق لهم أن يقولوا لأطفالهم: (برونه غورفه ي نه وم)[أي: أذهبوا إلى غرفة النوم]. أو (نه لعا به كان مه به نه غورفه ي نيستقبال) [أي: لا تأخذوا العابكم إلى غرفة الاستقبال] أو (قه ميسه كه ت له سه ر غه ساله دانى) [ضع قميصك على الغسالة] وإذا كانت هذه هي حال الجزء المحرر نسبياً من وطننا، الذي ـ إلى حد ما ـ تدرس فيه اللغة الكردية منذ عشرة أعوام، فكيف تكون حال الأجزاء الأخرى التي لا توجد فيها مدارس كردية.

إن اللغة الكردية مفهوم سياسي وهي الوجه الأبرز لقضية الأمة الكردية.وليست ثمة حدود واضحة لكردستان فهي مرتبطة بمدى انتشار اللغة الكردية، والأعداء يدركون ذلك تماماً.

عندما سئل تورغوت أوزال:((ألا تنوون منح الأكراد حكماً ذاتياً))؟ اكتفى بالقول: ((إن الجميع سوف يتعلمون اللغة التركية حتى عام1996))12.

إن الأتراك يدركون تماماً أن الكرد و(الكردايتي)وكردستان وفكرة الاستقلال تصب كلها في خانة واحدة وهي خانة اللغة.وهم يدركون أن القلعة التي جمعت هذه الأمة الجبلية منذ آلاف السنين هي سحر اللغة الكردية، فقد كان الأتراك وما زالوا على دراية تامة أنه لا يمكن غسل فكرة (الكردايتي) من رؤوس الأكراد العنيدة ما لم يتم إبطال سحر هذه اللغة، ولذلك فإن الكمالية القديمة والجديدة كرّست كل إمكاناتها المادية والمعنوية من أجل تقويض بنيان هذه القلعة وإبطال سحرها. وحتى بعد تأسيس الدولة التركية لم تكن الغالبية العظمى من أهالي شمال كردستان تتحدث لغة أخرى غير اللغة الكردية. فمن أجل محو الشخصية الكردية وإحلال شخصية أخرى مكانها كان لا بد للدولة من تدمير القرى وتهجير سكانها إلى المدن التركية من أجل إنسانهم اللغة الكردية وصهرهم في بوتقة (الأمة التركية السعيدة).

وفي تركيا.. ليس الكرد وحدهم، بل وحتى الأتراك بإمكانهم أن يدبكوا الدبكات الكردية ويستمعوا إلى الألحان الكردية ويرتدوا الزي الكردي في أعياد النوروز...إلخ. ذلك إن هذه الأمور لا تضرّ بالثقافة التركية، فهي ستصبح عاجلاً أم آجلاً ملكاً لها ممّا يزيدها ثراء وغنى.

وما دامت الأمور المذكورة لا تحمل بذور اللغة فإن اسم الكرد سيصبح أثراً بعد عين. ليس هذا وحسب، بل يمكن السماح بقومية(كردايتي) مفرغة من محتواها، ما دامت أداتها هي اللغة التركية. وعلاوة على ذلك فإن بمقدور المرء أن يعيش في تركيا دون مشكلات، وحتى يمكنه الارتقاء إلى منصب عصمت اينونو أو أجاويت* أو حكمت جتين إذا ما تخلى عن تلك اللغة (الوحشية). فليكتب يشار كمال وأمثاله المجلدات الضخمة عن بؤساء جقورافا ولكن باللغة التركية وليرتفع صوت أحمد قايا وإبراهيم تاتليسس** غناء ضد الاضطهاد ما وسعهم ذلك، ولكن باللغة التركية.إن القوميين الأتراك لهم إحدى خصائص المستعمرين الفرنسيين، ألا وهي فرض لغتهم، فالأتراك يقتلونك روحياً وليس جسدياً إذا ما تم لهم ذلك، ويعملون على اضمحلال شخصيتك ويجعلونك تحقد على ماضيك وتخجل من كونك ولدت من أبوين غير تركيين ومتخلفين.

لقد عملت الكمالية على تنشئة الأتراك والغالبية العظمى من الأكراد على أن اللغة الكردية هي لغة الأميين والغجر والمتخلفين وقطاع الطرق، وأن اللغة التركية هي لغة الحضارة والعلم والثقافة والتقدم، لابل هي أم اللغات الحية في العالم. وقد أوصلت هذه الحالة إلى حد الخجل من لغتهم والنفور منها. فالأحزاب والتنظيمات الكردية لم تقف عملياً في وجه سياسة التتريك هذه، بل تبعتها هي الأخرى باسم التقدمية والأممية وبالتالي أدخلت اللغة التركية إلى كل بيت كردي وبالطبع أنا أتحدث بصورة عامة، ولا أنكر ظهور مثقفين كبار من أمثال موسى عنتر من بين صفوف هذه الأحزاب أو خارجها، جعلوا قضية اللغة الكردية قضية حياة أو موت. ولكن للأسف فإن المساعي الحميدة لهؤلاء لم تلق دعماً جدياً من داخل الأحزاب. إن إحدى السمات البارزة للإعلام الذي ينشر بلغات الجيران هي المجاملة والتجمل اللذان يصلان أحياناً إلى حد النفاق والتملق، مما قد يؤثر سلباً على صورة الكرد. أو لم يقل آباؤنا وأجدادنا:(لا تكن حلواً فتؤكل، ولا تكن مراً فتلفظ)؟.

لقد بات الحديث عن الأخوّة والدين المشترك والمصير المشترك تقليداً متبعاً لدى الإعلام الكردي بمناسبة وغير مناسبة.

إن هذا الإعلام يصور لنا أن حياتنا بدون هؤلاء الأخوة الكبار جحيم لا يطاق، إذ يعيد على مسامعهم مراراً وتكراراً كل يوم إن كتابنا كتبوا بلغاتهم، وإن مغنينا غنوا بلغاتهم وإن علماءنا خدموا ثقافاتهم وإن خيرة شبابنا ضحوا من أجل قضاياهم. وباختصار شديد فإن الله قد خلقنا خدماً لهؤلاء يضعون أحذيتهم أمام أقدامهم، ولهذا فإن جيراننا يعتبروننا مثل (أحذيتهم) ولا يصنفوننا كشعب له خصوصيته.

إن الأتراك لا يستطيعون أبداً إنكار وجود اليهود والأرمن في تركيا، ولكنهم يقولون بكل وقاحة: (لا توجد"أقلية" تدعى الكرد في تركيا).

وفي سوريا التقدمية يستطيع بضعة آلاف من الآشوريين والأرمن الدراسة بلغتهم في حين أن الكرد المشتركين مع العرب في الدين البالغ عددهم مليوني نسمة محرومون من هذا الحق. فكلما أكثر الكرد الحديث عن صلاح الدين تشبث العرب به أكثر.ولهذا فإني أعتقد أن الإعلام الكردي الذي يركز على الخطوط المشتركة ينبغي عليه أن يركز بالقدر ذاته على الحدود الفاصلة بين الأكراد وجيرانهم. وإن هذا الفصل لا يعني بشكل من الأشكال الخروج عليهم ومحوهم، بل على العكس هو اعتراف

بخصوصيتهم. والاختلاف غير العدائي يجعل الحياة أكثر تلوناً وغنى.إن جرح عقدة النقص لدى الكرد له تاريخ طويل فمنذ مئات السنين كانت العربية هي لغة الدين والفارسية لغة الآداب والتركية لغة السلطة والحكم. أما الكردية فقد التجأت إلى الجبال والقرى خجلاً من هذه اللغات ولم تجد نفسها جديرة بالحضارة والمدنية. فقبل ثلاثمائة عام تفضل حضرة أحمد الخاني بالقول:

ـ والحاصل أنه ظلماً وعدواناً ابتدع هذه البدعة الجديدة.

ـ لقد ترك صافي (الخمر) وتجرع الثمالة ورتب اللغة الكردية ونظمها كالفارسية الدرية وتجشم المصاعب في سبيل عامة الشعب**.

ـ حتى لا يقول الناس أن الأكراد يفتقرون إلى المعرفة والأصل النجيب.(13)

وهكذا يتضح لنا حتى في عهد خاني الخالد كانت تتناهى إلى مسامعه أقاويل من قبيل: " الأكراد جهلة ولا أصل لهم ولا أساس". وكانت الكتابة بالكردية في عهده بدعة مستهجنة، لكن الشاعر الخالد ترك الخمرة الصافي (اللغات غير الكردية) وتجرع الثمالة(اللغة الكردية)، وأراد أن ينظم باللغة الكردية رائعة كروائع(نظامي) المنظومة بالفارسية الدرية، وهو لم يتحمل هذا العناء من أجل نخبة من المتعلمين وإنما من أجل عامة الشعب. ليت شعري لو أطلّ علينا خاني للحظة واحدة ليرى أنه ليس عامة الناس فقط، بل حتى النخبة من الأكراد يعتبرون لغة رائعته (بدعة) من البدع، وإن لم يكونوا يظهرون بالكلام خجلهم من كونهم أحفاداً له، فإنهم يثبتون ذلك عملياً وما على شيخ الشعراء إلا أن يتحسر اليوم كالأمس ويقول:

ـ ولكن ما العمل والسوق كاسدة، وليس من مشتر لما يعرض من قماش.(14)

نعم أن قماش خاني المنقطع النظير الذي تحمل العناء في نسجه، لا تزال سوقه كاسدة عند أحفاده وليس من مشتر له بينهم، وحتى الآن لا نجد واحداً في الألف يقرأ رائعته، وهكذا يرقد خاني وحيداً في مزاره النوراني صباحَ مساء وكله آذان صاغية... ونادراً ما يأتي أحد لزيارته ويهمس في أذنيه كلمتين كرديتين.

وكما عانى شاعرنا العظيم نالي((1800-1856)) من استهجان سفهاء الكرد لكونه ينظم الشعر بالكردية، ولا أعتقد أن دخان نالي كان من غير نار عندما قال:

لا يقولن أحد عن ألفاظي أنها كردية مصطنعة وإذا لم يكن المرء جاهلاً فإنه سيبحث عن المعاني[التي تتضمنها].

إن عدم وجود شار لقماش خاني الفاخر ومن ثم استهزاء (سفهاء) الكرد بـ (الألفاظ المصطنعة) للشاعر نالي لهما نفس الطعنة القاتلة التي تعرض لها حضرة حاجي قادر.

ذات مرة التقى حضرة حاجي قادر بأحد أهالي كويي في استنبول، فأخذ الرجل يحدثه ويمدح أحد شيوخها (أحمدى شيخ)* لكن الذي لا يعجبه فيه هو أن الشيخ يترجم الشرع وآيات القرآن باللغة الكردية فأنشأ يقول:

حسناً ما يفعله من أجل الكرد
إذ يترجم الشرع والآيات القرآنية
والحق إنها خدمة في سبيل الله
(ولكن) ما الضير لو لم تكن بالكردية*

ترى كم شخصاً من شيوخ الأكراد التقى بهم حاجي في استنبول وهم يعتمرون عماماتهم ولا يتحدثون بالكردية في البيوت والمضافات والمساجد؟ وكم جادل مستتركي (جلخواز) عصره بوعيه المتقد؟ وما الذي جعل هذه الذات النورانية تشهر سيف اللغة هكذا؟

كل كردي لا يعرف لغة آبائه مؤكد أن...(17)

إذا كان نجاحي قبل مائة عام ونيف قد استشاط غضباً من هؤلاء الكرد الذين لا يعرفون لغتهم لأي سبب من الأسباب (ربما لم يكن لهم ذنب في ذلك)، فماذا سيقول لـ(أولاد هذا العصر) الذين لا يعرفون الكردية ولا ينطقون بها في وقت أسست فيه القبائل والعشائر الأفريقية دولها وحكوماتها؟

في بدايات القرن العشرين وعندما لم تكن أممية البروليتاريا قد وصلت إلى قرانا... ولم تكن أمة الكمالية قد انتشرت انتشاراً واسعاً، ولم تكن اللغة الكردية قد منعت بعد، نجد أن أحد أكراد عاصمة البابا نيين(وهو مصطفى صانب ابن أخت الشاعر بيره ميرد)، يقلد الأتراك ويكتب لخاله رسالة بالتركية، فيرد عليه خاله بيره ميرد بقصيدة (مستو وا دياره) يبدو أنك يا مستو تنزع إلى الإستنتراك

وأن (رقيتك تحكك) توقاً إلى الأحمال
فتكتب الرسائل بلغة الترك
وتميل في دينك إلى الشرك.

أتذكر جيداً(هه ولير) الخمسينات، وكيف كان الأطفال المتألقون وأولاد المتعلمين (الأفندية) يحاولون التحدث باللغة التركية في المدرسة، وكذلك أتذكر كيف كان أولاد المستتركين (جلخوار) يسخرون من أبناء جلدتهم (الكرمانج الحمير- كه ره كرمانج -) القادمين من القرى الذين لا يعرفون التركية، بينما كان الرعاة والشغيلة والعتالون و(معترو) المدن يتحدثون الكردية. وكان الجميع في سباق من أجل التحرر من الطبقة السفلى والالتحاق بالطبقة العليا. ولكن للأسف، فما أصبح تاريخاً بالنسبة لـ (هه ولير) القديمة، لا يزال واقعاً حياً في شمال وطننا.

واليوم أصبح من المعيب التحدث بالكردية في وطن خاني وجزيري وسعيدي نورسي واللغة الكردية التي اعتبرها بيره ميرد(لا نظير لها) لم تعد تحتل الصدارة في المجالس، بل إن الكبار يبعدون أولادهم عنها كما لو كانت جرحاً مزمناً ومرضاً عضالاً.

عندما كنت أدرس في موسكو كنت أعرف مجموعة من أكراد الشمال الذين تشردوا من أجل(الكردايتي). والحق يقال فإنهم كانوا يتقنون الكردية ويتحدثون بها معي أنا الجبلي الذي لا يعرف التركية، ولكن ما إن يظهر شخص آخر من كرد الشمال حتى تتحول لغة الحديث إلى التركية. لقد قلنا أن اللغة الكردية محظورة في تركيا، حسناً فهل هي محظورة في موسكو أيضاً؟!. وقد قلنا أنه لا يمكن تعليم الأطفال بلغتهم الأم في كردستان، وفي أوربا ألا يمكن تعليمهم؟، هناك في كردستان الأسماء الكردية ممنوعة، فلماذا تبرز في أوربا كل هذه الأسماء(دنيز، أورهان، توران، أيلم، يلدرم،...)

كما تبرز الفطور في الربيع؟.

في العام المنصرم حضر خمسة أشخاص مؤتمر الرابطة القلمية العالمية باسم الكتاب الأكراد، منهم أربعة من أكراد الشمال. وقد حاولت جاهداً خلال الأيام التي قضيناها سوية أن أجعلهم يتحدثون فيما بينهم بالكردية كما يتحدثون بها معي، علماً بأنهم جاؤا من أجل اللغة والأدب الكرديين. ففي اليوم الثالث من المؤتمر، عقدت جلسة خاصة للحديث عن المسألة

الكردية، فأخذ ممثل الرابطة القلمية الكردية يتحدث باللغة التركية بدلاً من أن يتحدث بلغته الأم! والغريب في الأمر أن المترجم أيضاً كان كردياً!!؟.

يذكر عالم الاجتماع والمفكر التركي اسماعيل بيشكجي في كتابه (ملاحظات حول المثقفين الأكراد) أمثلة مؤسفة ومحزنة (18) فيحكي قصة طبيب فتح عيادته في بلدة كردية يتكلم أهلها بالتركية، فجاءته مريضة قروية فقيرة، فتحدث معها بالكردية فأخذتها الدهشة وشكت في أمره فهي لا تستطيع أن تستوعب كيف يكون طبيباً من يتكلم الكردية! فلم يكن أمام الطبيب إلا أن يصرخ في وجهها ويهينها حتى تصدق أنه طبيب (20).

وذات مرة أخذ شخص حسن الصوت يغني أغنية(بيريفاني) في إحدى حجرات سجن ديار بكر، فأنطلق صوت غناء مرتفع بالتركية في حجرة أخرى، وقاطعه، ولما سئل صاحب الصوت المرتفع: لماذا قاطعت غناءه؟ أجاب: (أيها الرفاق أنا أممي).

إن إحدى أهم الأزمات المؤلفة في نضالنا القومي في الشمال هي فصل اللغة الكردية،ولم تجعل هذه الأحزاب اللغة الكردية أداة (الكردايتي) ولا جزءاً من الشخصية والوطنية الكرديتين. وإن موقف الإعلام الكردي في الشمال إزاء دور اللغة في الفن والأدب يظهر بوضوح، هذا الفصل بين اللغة الكردية و(الكردايتي).

كثيراً ما يوصف شخص مثل المغني ذو الصوت الرخيم أحمد قايا بالمغني الكردي، كما يوصف شخص بموهبة ياشار كمال بالكاتب الكردي. إن ذلك لا يمت إلى الحقيقة بصلة، ليس من الناحية السياسية فحسب، وإنما من الناحية العلمية أيضاً. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عقدة النقص فينا.

إن كردياً يعرف لغته ويغني بلغة المحتل يساهم في تتريك قومه، شاء ذلك أم أبى، فكلما ازداد ذلك المغني نجاحاً ازداد خطره، لأنه يحبب إلى أبناء جلدته اللغة المفروضة عليهم، ويقتل فيهم روح المقاومة، إذ يقوم بسرقة الفلكلور والتراث الكرديين، ويجعلهما ملكاً للآخرين، كما يجعل لغة المحتل لقمة سائغة للكرد بإضافة الدسم الكردي إليها.

ذلك أن مناعة الكرد تضعف ضد ما يتم من تتريك عن طريق شخص كردي. إن اللغة وخاصة بالنسبة للكرد ليست مادة للفن فحسب، وإنما هي الهدف والهوية معاً، فلغتنا لا تقل شأناً عن لغات عصرنا الأخرى، ومن

بين ستة آلاف لغة تعتبر اللغة الكردية واحدة من بين الأربعين لغة الأكثر انتشاراً في العالم، ولهذا فإن كل فنان يعرض عن لغته ويغني بالتركية، هو فنان تركي بلا شك، وكل كاتب يعبر عن إبداعه باللغة التركية فهو كاتب تركي وإنني هنا لا أتخذ موقفاً سلبياً من الناحية الأخلاقية من هؤلاء، ولا اطعن سلوكياتهم لأنني أعتقد بأن المرء حر فيما يختار، فاختيار أداة الفن والكتابة التي هي اللغة جزء من تلك الحرية، ولكن لا يجوز بأي شكل من الأشكال اعتبار هؤلاء من الكتاب والفنانين الكرد.

ذات مرة كان الرئيس الليبي معمر القذافي - الذي لا أستطيع ككردي إلا أن أحترمه - يتحدث في خطاب له عن عظمة العرب وكان بين الأدلة على عظمتهم مما ذكر أن شكسبير كاتب عربي، وعلى حد تعبيره فإن اسمه الحقيقي هو (شيخ زبير) ونحن الكرد نحاول أن نجعل من كل شكسبير في العالم (شيخ زبيراً) كردياً.

وما أتحدث عنه هنا هو موضوع مهم من مواضيع الأدب المقارن، ولقد تم حسمه لدى الشعوب منذ فترة، فلا يحق لعربي أن يدعي بأن (ألبير كامو) كاتب عربي حتى لو كان مولوداً الأبويين عربيين، ذلك أنه كتب باللغة الفرنسية وخدم اللغة والأدب الفرنسيين. وما سمعنا أحداً يدعي أن (رانيير ريلكه) شاعر تشيكي، على الرغم من كونه تشيكي الأصل وكون التشيكية لغته الأم، لماذا؟ لأن اللغة التي كتب بها هي الألمانية، والشاعر (مندلشتام) واحد من كبار الشعراء الروس وهو يهودي الأصل، لكن لم يذكر في أية موسوعة أن مندلشتام شاعر يهودي، وماذا عن أعظم شعراء الروس (الكسندر بوشكين) ذي الأصل الحبشي؟ ترى هل سيأتي يوم يطالب فيه الحبشيون بـ (بوشكين) هم؟ أو على الأقل يطالبون الروس بعدد من طائرات سوخوي تعويضاً لهم عن بوشكين؟! والواقع أن الموضوع ليس هو الذي يحدد هوية الكاتب أو المغني أو المسرحي.....إلخ، أي إن ما يكتبه الكاتب أو ما يغنيه المغني ليست بذي أهمية، لكن المهم هو الأداة، أي اللغة التي يكتب أو يغني أو يتحدث بها وكذلك فإن الأصل البيولوجي للكاتب أو الفنان لا يساوي فلساً واحداً.

فعلى سبيل المثال كتب إبراهيم أحمد(آلام الشعب) عن نضال الشعب الجزائري،ولكنه يعتبر كاتباً كردياً لأنه ألف عمله باللغة الكردية، وعلى النقيض من ذلك لا يجوز لأحد أن يعتبر جيمس أولدريج كاتباً كردياً على

الرغم من كون جميع أبطال روايته (الجبال والسلاح) كرداً ذلك أن أداة كتابته ليست اللغة الكردية.

وما دمت أتحدث عن فن مبدعه كردي الأصل، غير أن أداته ليست الكردية، ويخدم ثقافته أخرى فسأشير إلى النقطة المهمة التالية:

عندما يتساوى في نظرنا الفنان الكردي والفنان التركي أو العربي أو الفارسي من أصول كردية، فإن ذلك ينمي فينا عقدة النقص، ويدفع أحفادنا إلى سلوك أسهل السبل وتجنب مشكلات اللغة الكردية الممزقة والضعيفة ومن ثم قراءة الفاتحة على روحها.

وإذا كان الأمر كذلك فما عليهم إلا أن يحذوا حذو المرحوم محمدى قاضي الذي قام بترجمة روائع الأدب العالمي إلى اللغة الفارسية، ويكتبوا الروايات والأشعار الجميلة بالعربية كما فعل سليم بركات وبلند الحيدري والعشرات من أمثالهم ويغنوا بالتركية مثل أحمد قايا وإبراهيم تاتليسس حتى يتحقق لهم العيش الرغيد من جهة وافتخار الكرد المساكين بهم من جهة أخرى.

يقول كاتب كردي فاضل في مقال له:

إنه لا يرى في الحياة الروحية للكرد سوى قطبين وهما الملا الجزيري وسليم بركات **23**.

لا أود بأي شكل من الأشكال التقليل من شأن سليم بركات، ولكن إذا أردت أن أختار قطبين من بين كل الكرد، فمن المحتمل أن يكون أولهما الجزيري (سراج ليل كردستان) الذي يشبه قلبه ببحر لا قرار له، يجري فيه مائة نهر ونهر دون أن يحس بهما:

- مائة نيل وفرات يجري في قلبي ولا أحس بها فأنا بحر محيط إن ملا يحمل محرابه معه ويعرب عن استعداده، كعارف حقيقي وخبير دُرَر لا نظيرله، للتوجه نحو(لالش) القبلة المقدسة لليزيدية وإن ذاتاً من هذا النوع لا يمكن إلا أن تكون قطباً، ولكن من نختار قطباً ثانياً؟ ماذا عسانا أن نفعل بشيخي طريقة الـ (كردايتي) أحمدى خاني وحاجي قادرى كويي، اللذين يتجاوزان بكل المقاييس مرتبة الشاعر؟ وأين نجد مكاناً للبحر بيره ميرد؟.

يعتقد الأخ الكاتب أن سليم بركات أرفع وسام على صدر الثقافة الكردية، إذ أن الدور الذي لعبه في الأدب الكردي يماثل الدور الذي لعبه محي

الدين بن عربي وأدونيس في الأدب العربي وشكسبير في الأدب الإنكليزي وبوشكين في الأدب الروسي وسيرفانتس في الأدب الإسباني.

إن ما ذكرناه آنفاً يفصل بصراحة ووضوح بين اللغة الكردية والـ (كردايتي) كما لو لم تكون اللغة هي العمود الفقري للأدب.

لقد اعتبر محمود درويش وأدونيس سليم بركات قمة في البيان ومالكاً لمفاتيح اللغة العربية **26**، ومن حقهما الافتخار به لأنهما يعرفان مكانة اللغة، ويدركان أن ما قدمه سليم بركات للحياة الروحية العربية ليس بقليل، ولكن ما جدوى بلاغة سليم بركات وحسن بيانه في العربية بالنسبة لكردي.....؟

أيعقل أن يكون بركات بالنسبة للغة والأدب الكرديين أرفع مكانة من خاني ونالي وحاجي وبيره ميرد وكوران وعرب شمو؟ وهل يعقل أن يكون نتاج هذا الأديب الفاضل قد لقي رواجاً أكثر من قصائد جكر خوين وقانع في القرى الكردية، وأثر في الحياة الروحية للناس أكثر من هذه القصائد؟

أعود فأقول: إنني لا أريد أن أقلل قيد شعرة من قيمة ومكانة هذا الأديب المبدع، وما كنت لأقول عنه شيئاً لو أنه صنف في خانة الأدب العربي أو العالمي وتم إبراز دوره هناك.

إنني هنا لا أتناول مكانة الكاتب وإنما أود التأكيد على دور اللغة وتأثيرها في الحياة الروحية للإنسان.

كثيراً ما يتحفنا المسؤولون الأتراك بكلام معسول من قبيل (ليس ثمة فرق بين الأكراد والأتراك). فهل هذا نابع من فراغ؟أم أن تعلق الأكراد باللغة والثقافة التركيتين يمنحهم الجرأة في ذلك؟. إن اللغة التركية تخلق الفوضى في مدن الشمال بحيث لا يمكن التمييز بين الأكراد والأتراك إلا من خلال الفوارق الطبقية. فهل تحدث أحدهم بالكردية في الاجتماعات التي تعقد في المدن؟ وهل رفع أحدهم شعاراً بالكردية؟ وهل ألقى أحد القادة أو رئيس إحدى البلديات خطاباً بالكردية؟ وهل قدم النواب الأكراد مذكرة إلى السلطات التركية أو المؤسسات الدولية، يطالبون فيها بتعليم أولادهم باللغة الكردية؟ وهل خرجوا لهذه الغاية في مسيرات ومظاهرات ونظموا إضرابات أثارت الضجة في العالم؟.

إذا كانت هناك حقائق ملموسة فلا يمكن إنكارها؟ لو أن الأكراد الموجودين في شمال كردستان، ولا أقول عشرين مليون كردي، تحدثوا

علناً بلغتهم لما استطاع الأتراك إنكار وجودهم، إنهم ينكرون وجودنا لأنهم، عملياً يستفيدون من ذلك ويقطفون ثماره يومياً، عندما يرون الأكراد يتحدثون بالتركية مع أطفالهم في المهد، وأنهم ينكرون وجودنا لأننا لا نتشبث بوجودنا. إن اللامبالاة وعدم الاكتراث في هذا المجال يبدوان جلياً في الإعلام الكردي.انظر مثلاً اللافتات التي يرفعها إخواننا أكراد الشمال في مظاهراتهم الحاشدة على شاشة ميديا TV، حتى في أوربا الحرة لا تجد كلمة كردية في لافتاتهم، فلماذا تكتب هذه بالتركية في ألمانية؟ ترى هل يعتقد الكرد أن الألمان أيضاً يعرفون اللغة التركية مثلهم؟ وإذا كان الألماني والهولندي يفهمان معنى كلمتي(ساشاسن - عاش) و(وبارش - السلام) فإني أراهنكم أن (قارداش) نا : إخواننا الأتراك سيتعلمون معنى كلمتي(يزي - عاش) و (أشتي - السلام) في فترة وجيزة، ناهيك عن الألمان والهولنديين.

ثمة أمور تبدو للوهلة الأولى تافهة وليست بذات قيمة، لكن إذا أمعنا النظر فيها نرى أنها تترك أثراً عميقاً في نفوس الناس، وخاصة تلك التي تتكرر عشرات المرات في الإعلام الكردي. ففي السنة قبل الماضية وعرضت قناة ميديا TV لعشرات المرات مشهداً لسقوط طائرة للعدو، لا شك أن هذا خبر مفرح لكل كردي شريف، لكن وفي نشوة الانتصار يصرخ أحد الثوار(دوشتو)،أنني على يقين من أن النضال المشترك للبروليتارية الكردية والتركية ما كان ليتأثر قيد شعرة، لو أنه قال: (كه وت - سقط) بدلاً من (دوشتو)، هذا أمر بسيط لكن له دلالة كبيرة، هي أن التركية هي لغة الثورة أيضاً، كذلك عرضت القناة نفسها مرات عديدة قناة ألمانية - وللأسف وقعت في الأسر فيما بعد أثناء إحدى العمليات - يطلب منها خلال البرنامج أن تغني، فلا تتوانى عن تلبية رغبتهم وتغني لهم أغنية تركية. طبعاً لا ذنب لهذه الفتاة الفدائية في ذلك في ذلك تركت وطنها وتوجهت إلى تلك الجبال بقصد الدفاع عن أرض وثقافة ولغة الأمة الأكثر بؤساً على وجه الأرض، بل أن الذنب كله ذنب أولئك الذين علموها اللغة التركية في تلك الجبال بدلاً من لغةالملا الجزيري وحضرة الخاني لم لا؟ والتركية هي اللغة الرسمية في جميع اجتماعات ومؤتمرات أحزاب شمال كردستان، وكذلك هي لغة التعامل اليومي في مقراتهم. والصحيفة الوحيدة لأكراد الشمال في أوربة(اوزغور بوليتيكا) تصدر أيضاً باللغة التركية، وفي أكثر المنابر شعبية، الذي هو التلفزيون تستخدم التركية لغة رسمية في جميع

البرامج السياسية الأكثر سخونة وحيوية. وفي معظم الأمسيات تكتب على الزاوية اليمنى من الشاشة كلمة (Canli) فلا يتحدث أحد بعدها بالكردية، لقد أصبحت اللغة الكردية لغة الطنبور والغناء (ليلى ولولو) فقط. إنهم بصراحة يقومون بتجميل لغة المحتل وتعويد أذن الإنسان الكردي عليها. وإن الأكراد يغالون كثيراً في تعلقهم بقادتهم، فاللغة التي يتحدث بها القادة تأخذ طابعاً قدسياً ويصبح لها وقع جميل على مسامعهم. أليس من المؤسف أن يتحدث رئيس HADEP السيد توران دمير* بالتركية في يوم كيوم النوروز أمام عشرات الآلاف من الكرد وبحضور ممثلي البرلمان الأوربي؟ فكيف لا يقول أجاويت بعدها: (أن الأكراد والأتراك متداخلون كاللحم والعظم).

أن أخطر عمل شرعت به ميديا TV هو خلط الكردية بالتركية في البرنامج الواحد. فكثيراً ما نجد اللغة التركية تقحم في برنامج يبث باللغة الكردية، وخاصة برامج(سيلا سور) (ونيرين) و(روناهي)، إن هذا الأمر لا يحدث في قناة تلفزيونية أخرى في العالم كله. وإذا حدث، فإن المداخلة تترجم مباشرة، لأن من يعتبر لغته لغة مستقلة ينبغي عليه دائماً الحفاظ على هذا الوضع.

ليس ثمة بيلاروسي واحد لا يعرف اللغة الروسية أكثر من لغته الأم، لكن من غير الممكن أن يتحدث أحد بالروسية في برنامج بيلاروسي، وإذا حدث - لا قدر الله - فإن حديثه يقاطع أو يترجم مباشرة إلى اللغة البيلاروسية،وبهذا يحافظ الشعب البيلاروسي على وضع لغته رسمية مستقلة، علماً أنه هناك تقارب بين اللغتين الروسية والبيلاروسية بحيث يمكن التفاهم بسهولة بين الروسي البيلاروسي إذا ما تحدث كلٌ منهم بلغته الأم،أما بالنسبة للكرد، فالخطر أكبر لأن الأتراك ينكرون وجودهم انطلاقاً من اعتقادهم بأن جميع الأكراد يعرفون التركية ولا حاجة لهم بلغة أخرى.

لماذا يحضر شخص لا يعرف الكردية إلى برنامج كردي أو يتصل به؟ أمن أجل إهانة اللغة الكردية فقط؟ وإذا كان يريد التحدث بالتركية فلماذا يقول له المذيع بلا تردد: ((بويرن أفندم: تفضل يا سيدي))؟ وإذا سمح له بذلك فلماذا لا يترجم كلامه إلى اللغة الكردية؟ لماذا يتجاهل هذا المذيع حقيقة كون التركية والكردية لغتين مختلفين؟ لماذا ينسى أن الكرد في الأجزاء الثلاثة الأخرى من كردستان مازالوا بعيدين عن الحضارة ولا

يعرفون اللغة التركية؟.يعد التلفزيون أهم وسائل الإعلام وخاصة الأقنية الفضائية، إذ ليس ثمة صحيفة كردية يزيد عدد قرائها على خمسة آلاف شخص ولكن قناة فضائية ميدياTV يشاهدها ملايين الأكراد الذين يجدون فيها عاداتهم وتقاليدهم تكتسب أهمية كبرى، إن الخطوة الأولى دائماً الأكثر صعوبةً، لقد كانت MED TV هي الخطوة الأولى كما كانت تجربة لشقيقاتها الأخريات (كردستان TV وكردسات وميزوبوتاميا).

ولا يمكن لصاحب ضمير أن لا يثمن مبادرة العاملين في هذه القناة، لكن مع هذا فهي مطالبة بالكثير وخاصة في مجال اللغة. إن مقر ميديا TV في قلب أوربا التي تعج بالكرد القادمين من جميع قرى كردستان ومدنها فليس هناك مدينة أو بلدة لا يوجد فيها كرد من مختلف اللهجات الكردية، لهذا تستطيع MED TV أن تتحول إلى مؤسسة لنشر وتدعيم ركائز اللغة الكردية النموذجية(ستاندارد)،فتجعل من اللهجات الكردية معيناً لا ينضب لرفد هذه اللغة النموذجية وتضيف إلى خزينة اللغة القومية آلاف الكلمات المستخرجة من جعبة كل منطقة كردية وبإمكانها كذلك أن تبث جميع برامجها باللهجتين الكرديتين الرئيسيتين معاً، لا أن تجعلنا شعوباً منفصلة (سوران، كرمانج، زازا،...إلخ) وإذا لم تعالج هذه المسألة بأسرع وقت ممكن فسوف تنعكس سلباً على قضيتنا القومية، ونهيئ الكرد نفسياً للتشتت والانقسام فمن غير الجائز أن يتم فصل اللهجات عن بعضها في النشرات الإخبارية وإعطاء كل لهجة شخصية مستقلة، على سبيل المثال:إنه كفر ما بعده كفر أن تبث الأخبار مرة بالكرمانجية ومرة بالسورانية.

نأمل من ميديا TV أن تقوم على غرار كردستان TV وصوت أمريكا باستخدام اللهجتين الكرمانجية والسورانية معاً في برامجها بشكل واع ومدروس.إن مسألة إدارة البرامج باللهجتين المذكورتين معاً مسألة راهنة وملحة جداً ومهما أسرعنا في تلقيح مفرداتهما وتقريبهما من بعضهما، فإننا نبقى متأخرين في هذا المجال. للأسف يتم التعامل(عملياً) مع اللهجات الكردية كلغات مستقلة في وسائل الإعلام الرسمية في أوربا.

وقد كان للكرد أنفسهم دورٌ بارز في خلق هذه الكارثة القومية، فإذا لم يتنبه الإعلام الكردي إلى هذه الناحية فسنتحول كما أسلفت القول من شعب إلى عدة شعوب صغيرة في مستقبل قريب بالتأكيد، إن ما ذكرناه آنفاً لا ينطبق على الفلكلور والأغاني الشعبية.

وإذا كنت قد ركزت على مسألة اللغة إلى هذا الحد فذلك لأنني أعتبر اللغة مفتاح الثقافة وانعكاساً لشخصية الإنسان، ولأنني أعلم أنه لم يبقَ للكرد ما يميزهم عن محتليهم سوى هذه اللغة. وثمة سؤال يجب أن لا يغيب عن بالنا: لماذا حل بنا في شمال كردستان خلال خمس وسبعين سنة ما لم يحل باليهود خلال ألفين وخمسمائة سنة؟ لقد تشتت شمل اليهود وتبعثروا في جميع أصقاع العالم لكنهم حافظوا على لغتهم وثقافتهم في حين أننا نحن الكرد الذين نعيش على ارض آبائنا وأجدادنا نسينا لغتنا خلال خمسة وسبعين عاماً وإن لم ننسها فإنها قد أهينت من قبلنا.

أخيراً أرجو أن لا يعتقد أحد أنني أقف في مطلع القرن الحادي والعشرين موقف العداء من اللغة التركية أوأية لغة أجنبية أخرى، على العكس تماماً، فأنا أعشق كل لغة متداولة على وجه البسيطة ولو كان عدد الناطقين بها أربعة أشخاص، ولكن شريطة أن أملك حرية الاختيار، لا أن تفرض على بالحديد والنار وتصبح على الرغم مني بديلاً عن لغتي الأم، وكذلك أرجو أن يأتي يوم تصبح فيه اللغة الكردية في كردستان حرة ومستقلة لغةً رسميةً للدولة، ويتعلم آلاف الفتيان والفتيات الكرد لغة بيشكجي والجواهري وحافظ* في كليات الأدب واللغة الأجنبية.

*تم تجميع هذا البحث لأول مرة في مجلة(باسكار) المهجرية، العدد 5سنة 2000م،وقد نشر للمرة الثانية في الجريدة الأسبوعية ميديا في كردستان الجنوبية، الشهر الرابع 2001 م ونظراً لأهمية البحث ارتأينا ترجمته إلى العربية، وهذا لا يعني بالضرورة موافقتنا الكلية على كل ما جاء فيه. وننوه أيضاً أن بعضا من أماني الأديب الفاضل قد تحققت لاحقاً خاصة في كردستان الجنوبية كبناء المجمع العلمي الكردي وغيرها. ((المترجمان)).

*أجويت، ليس من أصل كردي كـ حكمت جتين وعصمت أينونو.

**إبراهيم تاتليسس: من أصل عربي ومن عشيرة قيس تحديداً.

*هو العالم الكردي، الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ معروف النودهي البرزنجي، والمعروف بين الناس بـ كاك أحمد. ولد عام 1793 وتوفي عام 1887م.(المترجمان)

*أحمد توران دمير

*الشاعر الفارسي المعروف حافظ الشيرازي.

المصادر

الموسوعة السوفيتية ، سلفر، موسكو 1985، ص 522(باللغة الروسية).

نفس المصدر.

نه سليني ميره، موسكو 3ص 10 (باللغة الروسية).

الموسوعة السوفيتية، سلفر، موسكو 1985 ص688(باللغة الروسية).نه سيليني، موسكو 1989 ص 431(باللغة الروسية).

لا شك أنه يمكن أن يستخدم المحتلون كل الوسائل المذكور وفي الوقت ذاته، ولكن في مرحلة معينة يركزون على واحدة منها.

كردستان TV، مساء يوم 2000/5/12م.

كردستان TV، مساء يوم 2000/5/19م.

كردستان TV، مساء يوم 2000/5/23م.

صحيح أ ن اللغة النموذجية(ستاندارد) لم تترسخ بصور وكاملة بعد، لكن القسم الأعظم من معاييرها بات واضحاً وابتعادهم عنها يعبر عن جهلهم.

كردستان TV، مساء يوم 2000/5/26م.

إسماعيل بيشكجي، ملاحظات حول المثقفين الكرد، منشورات 1992 ص86.

أحمد خاني، مم وزين، إيطاليا، 1989 ص24.

نفس المصدر، ص25.

ديوان نالي، بغداد، 1976 ص 240.

ديوان حاجي قادر كويي، بغداد، 1986 ص240.

نفس المصدر ص246.

ديوان بيره ميرد الخالد، بغداد، 1970 ص 61.

إسماعيل بيشكجي، المصدر السابق.

نفس المصدر، ص 74 - 75.

نفس المصدر، ص 25- 26.

هيوا، العدد5، 20أيار، 2000،ملحق أوزكور بوليتكيا.

ديوان الملا الجزيري، طهران، 1361 إيراني، ص 241.

نفس المصدر، ص269.

هيوا، العدد20،5أيار،ملحق لأوكور بوليتيكا.

نفس المصدر.